

...قانون للتلفزيون

تأليف: كارل بوبر

ترجمة وتقديم: د/ آمال علاوشيش

الملخص:

هذا المقال هو ترجمة لنصّ كارل ريموند بوبر (1902-1994) * Une loi pour la television المنشور في كتابه: التلفزيون خطر على الديمقراطية (un) La television : danger pour la démocratie)، والذي نشر في سلسلة : Anatolia Editions, 1994) ص 19-37)، وفيه يرد على مقال المفكر الأمريكي جون كوندري (1938-1993) الموسوم: مختلصة الوقت.. خادمة غير وفية [الكلام عن التلفزة]، وذلك من خلال اقتراح نقدي للجدل الحاصل حول ما تفرضه وسائل الاتصال من سيطرة أفرزت أخلاقيات جديدة راحت تشكّل تهديدا لا يُستهان به على المجتمع وبخاصّة شريحة الأطفال الهشة، باعتبار أنّ التلفزيون أصبح وسيلة تربية كبيرة ولكن لا تخضع لأيّ رقابة، ومنه المطالبة بتقنين الممارسات الإعلامية عبر الرقابة التي أضحت الوضع ملحا لفرضها على مهني القطاع ومنتجاتهم المختلفة، وذلك نظراً لما تصدره من قيم العنف من جهة، ولأنّ التلفزيون بشكل خاصّ يمثل من جهة أخرى قوة تهدد الديمقراطية بمقتضى تحويله إلى سلطة موازية.

النص:

يبين مقال جون كوندري [المنشور سابقاً، والذي قمنا بترجمته في العدد 13 من هذه المجلة] التأثير العظيم الذي يمارسه التلفزيون على الأطفال والوقت الكبير الذي يقضونه في مشاهدته، هاتان الظاهرتان المرتبطتان بوضوح. يبدو أنّ صاحب هذا المقال على معرفة جيّدة بالموضوع ويتحدّث فيه بطريقة موضوعية وواضحة، حيث يخلص في نهاية مقاله إلى القول بأننا لا نستطيع لوم الأطفال على الوقت الذي يقضونه أمام التلفزيون، وليس ذنبهم أن يستقبلوا من خلاله معلومات مشوّهة، والتحليل الذي قدّمه للوضع يجعلنا بلا أسلحة لأنّ التلفزيون

* **فيلسوف** علم وإستيمولوجي نمساوي- إنكليزي من أهم فلاسفة السياسة والاجتماع، ونصير - مخلصاً للديمقراطية وداعية للمجتمع المفتوح. عمل مدرّساً في كلية لندن للاقتصاد ويعتبر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين، كما كتب بشكل موسّع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. من أبرز مؤلفاته: منطق الكشف العلمي (1934)، المجتمع المفتوح وأعداؤه (1945)، يؤس التاريخانية (1957)...

في نظره " ليس مطالباً بالاختفاء، والاحتمال في أن يشكّل يوماً وسطاً ملائماً لتهيئة الأطفال اجتماعياً ضئيل جداً ". سوف أقدم ملاحظة واحدة حول هذه النقطة. أعتقد أنّه في هذه السنة وبخاصّة في بريطانيا حصل تحسّن طفيف، وربّما بساطته هذه تجعله غير جدير - بأن يكون موضوع حديثنا، ولكن على الأقلّ ربّما أمكننا أن نوّكد على أنّ الوضع لم يزدد حدّة

مؤخراً، في حين لم يتوقف التلفزيون خلال السنوات الأخيرة عن الانحلال بشكل محسوس على جميع المستويات.

يقول كوندري بعد ذلك، أن التلفزيون عاجز— عن أن يعلم الأطفال ما هو ضروري لتربيتهم، أو إذا كنتم تفضلون كما هو منظم اليوم، ليس في استطاعه أن يلعب هذا الدور. أنا أعتقد بالأحرى أن دوره الذي يعدّ ضاراً بشكل رهيب، في مقدوره أن يكون على العكس أداة تعليمية رائعة، بوسعه أن يكون كذلك ولكن احتمال ذلك ضئيل، فأن نجعل منه مؤسسة ثقافية مفيدة يعدّ مهمة صعبة للغاية.

حتى نقول الأشياء ببساطة، من الصعب أن نجد أشخاص قادرين على أن ينتجوا يومياً لمدة 24 ساعة متتالية حصصاً ذات قيمة، ومن الأسهل من ناحية أخرى أن نجد أشخاصاً قادرين على أن ينتجوا يومياً ولمدة 24 ساعة حصصاً رديئة، ربما مع حصّة ذات نوعية جيّدة تدوم لساعة أو ساعتين. نحن نجد أنفسنا في الواقع أمام مشكل صعب للغاية. كلما كان عدد القنوات كبيراً كلما كان من الصعب إيجاد محترفين قادرين فعلاً على إنتاج حصص مرفهة وذات جودة.

هناك إذا صعوبة أساسية داخلية تقف وراء انحلال التلفزيون. لقد انحدر مستواه لأنّ قنواته ومن أجل أن تحافظ على جمهورها وجدت نفسها مضطّرة إلى إنتاج حصص— مثيرة أكثر فأكثر، والحال أن ما هو مثير نادراً ما يكون جيّداً. الآن إذا طلب منّي أن أشرح معنى "ما هو جيّد" و"ما هو سيّئ"، سأقول أنني لا أحبّ التعريفات كثير، غير أنني أعتقد أن كل شخص— مسئول يملك موهبة الحسّ السليم، يعرف ما يجب أن نغنيه بـ: "جيّد" و"سيّئ" في هذا المجال، وهي نقطة لن أتعمّق فيها أكثر.

لندكر ببساطة أن كثيراً من الناس على بينة بمشاكل التربية خاصّة في أمريكا، حيث تشغل مكانة كبيرة بالجامعات. لا يعوزنا إذا أشخاص قادرين على التمييز بين ما هو جيّد وما هو ليس كذلك في ميدان التربية، ويبدو لي أن هذا النوع من الكفاءات بالإمكان استخدامها لخلق إنتاج تلفزيوني أفضل بكثير، وإن كنّا نعلم أن الأمر لن يكون مهمّة سهلة إذ يلزمنا أشخاصاً موهبين حتى ننتج برامج مهمّة وذات نوعية جيّدة في وقت واحد.

هنا يكمن المشكل الأساسي، ولكن هناك مشكل آخر لا يقلّ أهميّة: قنوات التلفزيون كثيره جداً فلم— إذا هي في حالة تنافس؟ من الواضح أن ذلك هو من أجل الاستحواذ على المشاهدين وليس من أجل غايات— تربوية، فهي لا تتنافس بالتأكيد من أجل إنتاج برامج ذات نوعية عالية وقيمة أخلاقية تغرس في الأطفال إيتيقاً معيّنة. هي نقطة مهمّة وحساسة إذ لا يمكن تعليم إيتيقاً للأطفال إلا إذا منحناهم بيئة صحيّة وجذابة، وقدّمنا لهم أمثلة مثقفة. وفي مثل هذه الأوضاع ما العمل؟

إنّ تحليل كوندري لا يترك لنا أملاً ولكنه جدير بأن يحول دون اعتقادنا في أيّ وصفة وهمية، وإذا نظرنا إلى تاريخ التلفزيون نلاحظ أنه كان جيّداً نسبيل في بداياته، ولم نكن نشاهد كل البرامج الرديئة التي عرفناها لاحقاً، حيث كان يقترح أفلاماً جيّدة وحصصاً صادقة. صحيح أن المنافسة كانت في الأصل منعدمة بشكل كلي وأنّ مطالب الجمهور لم تكن قد تطوّرت بعد. كان بوسع الإنتاج أن يكون أكثر انتقائية.

ومن المثير للاهتمام أيضاً أن نستمتع إلى حديث منتجي البرامج التلفزيونية حول هذه المسألة، وبمناسبة محاضرة ألقيتها في ألمانيا منذ سنواتٍ تمكنت من لقاء مسئول قناة جاء للاستماع إليّ مع عدد من شركائه، سأمتنع عن ذكر اسمه حتى لا أُنح هذه القضية منحى شخصي. أثناء نقاشنا قدّم تصريحات مخيفةٍ بدت له بطبيعتها غير قابلةٍ للمناقشة. "علينا أن نمنح الناس ما ينتظرونه"، هذا ما كان يقوله، وكأنا نعرف ما يريدُه الناس بالاعتماد ببساطة على إحصائيات معدلات المشاهدة التلفزيونية، كل ما أمكننا جمعه أخيراً هو مؤشرات حول اختيارات المشاهدين تجاه البرامج المتاحة لهم.

هذه الأرقام عاجزة عن إخبارنا عما يجب أو نستطيع اقتراحه، ومسئول القناة هذا لا يمكنه أن يعرف نوع الاختيار الذي يقوم به المشاهدون أمام اختيارات أخرى غير تلك التي يقدّمها. في الواقع هو مقتنع بأن الخيار غير متاح بالفعل إلا ضمن الإطار الممنوح سابقاً، ولا يتوخى أي بديل. كان بيننا نقاشاً مدهشاً حقاً بدا له من خلاله أن موقفه مطابق "لمبادئ الديمقراطية"، وتصور أنه ينبغي عليه أن يتبع الوجهة الوحيدة المفهومة لديه والتي يعتبرها "الأكثر شعبية"، في حين لا شيء في الديمقراطية يبرّر أطروحة مدير هذه القناة، الذي يعتقد أن واقع تقديم برامج أكثر فأكثر رداءة يتناسب ومبادئ الديمقراطية، "لأن هذا ما ينتظره الناس"، وبمقتضى ذلك لم يبق لنا سوى أن نذهب إلى الجحيم!

إن الديمقراطية والتي أوضحناها في مكان — سابق، ليست سوى نظام حماية ضد الديكتاتورية، ولا شيء بداخلها يمنع من أن ينقل الأشخاص الأكثر تعليماً معرفتهم إلى من هم أقل منهم، وعلى العكس تماماً، فقد حاولت الديمقراطية دائماً أن ترفع من مستوى التربية، وهنا يكمن طموحها الحقيقي. أفكار مدير هذه القناة لا تتناسب في شيء مع روح الديمقراطية التي كانت تتمثل دائماً في أن تمنح للجميع أفضل الإمكانيات وأفضل الفرص، وعلى العكس تؤدي هذه المبادئ إلى اقتراح حصص أكثر سوءاً على المشاهدين أو الجمهور الذي يقبلها بمجرد أن نضيف إليها العنف أو الجنس أو المثير.

في الواقع كلما استخدمنا هذا النوع من العناصر استحثنا الأفراد على طلبها ثانية، ولأن هذه الممارسات هي التي يفهمها المنتجون بشكل — أفضل وهي التي تحت بسهولة على انخراط الجمهور، فإنه يتم التخلي عن المقترحات الأكثر صرامة، ونكتفي بإضافة الفلفل الحلو إلى البرامج، ويتصور مدير القناة أنه بذلك يكون قد حل المشكلة، هذا ما حصل على مرّ السنين منذ أن ظهر التلفزيون: نضيف دائماً فلفلاً حلواً لأطباق ذات نوعية سفلى، من أجل تمرير مذاقها المكروه أو الذي لا طعم له.

كنت في حوالي الأربعين عندما بدأت الحصص التلفزيونية الأولى، وكانت لي مناقشة مثيرة بما يكفي مع سيّدة دكتورة في علم النفس، كلّفها الحكومة البريطانية بدراسة مسألة ما إذا كان التلفزيون يمثل خطراً على الأطفال أم لا، وكان حكمها كالتالي: لا، التلفزيون لا يمثل أي خطر — عليهم، ولا شك أنها توصّلت إلى هذه النتيجة بعد مشاهدة بعض الحصص التلفزيونية التي لم تكن آنذاك سوى في بداياتها، وقضت اعتماداً على هذه القاعدة. وتبنّت الحكومة البريطانية حكمها ولم تعد المسألة محل انشغال.

في هذه اللحظة بدأ مستوى الإنتاج التلفزيوني في التدني بشكل — تدريجي ولكن أكيد حتى منذ عام تقريباً، عندما أثار عدد الجرائم ومشاهد العنف المقدّمة في الحصص الخاصة بالأطفال احتجاجات، ليراجع هذا التدني الذي كان منتظماً بشكل محسوس. منذ 8

سنوات كنت قد دافعت في محاضرة عن أطروحة أننا نربّي أطفالنا على العنف وأنّ هذا الوضع سيزداد سوءاً إذا لم نتدخل لأنّ التغيير يتخذ له دائماً الطريق الأسهل، وبعبارة أخرى أننا نتّجه دائماً حيث يمكن حلّ الصّعوبات والمشاكل بأدنى جهد.

العنف والجنس والمثير هي الوسائل التي يلجأ إليها منتجو التلفزيون بكل سهولة: هي وصفة أكيدة قادرة دائماً على إغواء الجمهور، الذي إذا حصل وشعر بالملل يكفي أن نزيد له في الجرعة. من جهة أخرى فإنّه من المحتمل جداً أن يعود هذا الميكانيزم للانطلاق في حال ما تطوّر الوضع. أنا لا أعرف التلفزيون الإيطالي ولكن هذا ما يحصل في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة. لقد أحصينا عدداً لا يُستهان به من الحالات حيث اعترف الكثير من مرتكبي الأفعال الإجرامية بأنهم استلهموا ذلك ممّا شاهدوه في التلفزيون، وهناك أيضاً حالة الطفلان ذوي العشر سنوات اللذان اختطفا وقتلا بلا أيّ مبرّر ولداً صغيراً في الثانية من العمر في فبراير من عام 1993 في ليفربول.

القضية أثارت ضجة كبيرة وأُقلقت الرّأي العام بعمق: نحن لا نعرف سوابق لفعلٍ بمثل هذه الفظاعة. النقاش كان حيويّاً. لم يفتنّا أن نعقد العلاقة مع التلفزيون، ولكن كثيراً من الخبراء تناولوا الكلمة ليعانوا بأنّ ذلك يعد خطاً على المستوى النّفسي، ولهذا أريد أن أتخذ موقفاً بسيطاً وجلياً حول الرّوابط السيكلوجيّة الموجودة بين الأطفال والتلفزيون.

عندما نتحدّث عن الفكر، علينا أن نتطرق إلى فكرة "التوجّه داخل العالم" (l'orientation dans le monde)، والتي تعدّ تلك القدرة الأساسيّة للتّمرين على الفكر. ما المقصود بذلك؟ إنّها إجمالاً القدرة على أن نجد طريقنا في العالم، وهذا ما يقودني بعيداً إلى الوراء، والموضوع مألوف بالنسبة إليّ بما يكفي وبالرّغم من أنّي لم أكتب مطلقاً حول هذه النّقطة بالضبط يمكن أن نجد بعض العناصر في عديد المؤلّفات التي خصصتها لنظرية المعرفة. فيما يتعلّق بالعلاقات بين الأطفال والتلفزيون نجد أنفسنا أمام في مواجهة مشكلة تطوّر: يأتي الأطفال إلى العالم وهم ملزّمون بأداء مهمّة شاقّة هي التكيّف مع محيطهم، وحسب معلوماتي لم يدخل هذا المفهوم البسيط جداً في أيّ نقاش حول التلفزيون. بعبارة أخرى، عبر ما زودّ به الأطفال من متاع منذ البداية هم مجهّزون ليتمكّنوا من التكيف مع مختلف الأوساط التي يواجهونها، وبالتالي يعتمد نموهم الذهني بشكل كبير على محيطهم، وما نسمّيه تربية هو فقط وببساطة الوسيلة التي نستخدم للتأثير على هذا المحيط من أجل أن نجعل منه وسطاً ملائماً لتطوّرهم.

نحن نرسل الأطفال إلى المدارس حتّى يتعلّموا أشياء، ولكن ماذا نقصد "بالتعلّم" في الأساس؟ و"التعليم"؟ وما الذي نسعى إلى القيام به؟ في الواقع ما نريده هو التأثير على محيطهم بحيث يتسنى لهم التّهيؤ لأعبائهم المستقبلية: أن يصبح مواطنين، الحصول على المال، أن يصبح أولياء جيلٍ جديدٍ وغيرها، ولهذا يتعلّق كلّ شيء بالمحيط وهو ما يعني أننا نحن الذين نكوّن الجيل السّابق علينا مسؤوليّة أن نوّفّر أفضل محيط ممكن، والحال هذه ينبغي ملاحظة أنّ التلفزيون هو جزء من محيط الأطفال وعن هذا أيضاً نحن مسؤولون على اعتبار أنّه من صنع البشر.

لقد سنحت لي الفرصة كثيراً أثناء حياتي للاهتمام بمشاكل التربية وتعلّمت الكثير بخاصّة في الاتصال بأطفال أشقياء ينبثق أغلبهم من أسر يسودها العنف، حيث الأمهات هنّ دائماً تقريباً ضحايا عنف أزواجهن، وهؤلاء بعامة من مدمني الخمر بحيث يطبع سلوكهم هذا الحياة الأسرية بأكملها. كان ذلك هو المخطط النموذجي الذي يجد فيه الأطفال أنفسهم في مواجهة وسط عنيف. في أيّامنا انتقل العنف ليفتّك بشاشات التلفزيون، وهنا راح الأطفال يتأمّلون العنف يوماً بعد يوم ولمدة ساعات. يبدو لي وبحسب تجربتي أنّنا وصلنا إلى نقطة بالغة الأهمية، بل الواقع إلى نقطة رئيسيّة، وهي أنّ التلفزيون ينتج العنف ويدخله داخل المنازل التي ما كانت لتعرفه بخلاف ذلك.

لنرى ما يمكن أن نقوم به الآن ولنطرح السؤال: "هل بوسعنا أن نفعل شيئاً؟" يعتقد الكثيرون أمثال جون كوندري أنّه لا يمكن القيام بشيء بخاصّة في بلد ديمقراطي، أولاً لأنّ الرّقابة لا تتسجم مع الديمقراطية، ولأنّها بعد ذلك لا تمارس أيّ تأثير- على التلفزيون من منطلق أنّها تتدخّل بعد انتهاء الأمر، ولأنّه يستحيل عملياً أن نضع "رقابة وقائيّة" على الحصص، بوسعنا عند اللّزوم أن نتدخّل لدى المسؤولين عن إنتاج الحصص التي تمنح العنف مكانة معتبرة ولكنّها ليست بالطريقة القابلة للتّعميم على مجموع النّظام التلفزي.

ها هو اقتراحي إذا في بضع كلمات، وهو مستلهم من البروتوكول الذي يخضع له الأطباء عموماً، هؤلاء يملكون سلطة هامّة على حياة أو موت مرضاهم، وهذه الأخيرة -السلطة- من الضّروري أن تعاني شكلاً من السيطرة. إنّ الأطباء مراقبون من طرف هيئات بطريقتهم جيّدة ديمقراطيّة، وكلّ البلدان المتحضّرة تملك مثل هذه الهيئات إلى جانب قانون

يعرّف بالوظيفة- وظيفتها- أقترح أن تضع الدولة جهازاً مماًثلاً لأجل كلّ من يلتزم بإنتاج الحصص التلفزيونية، أيّـ كان من يشارك في هذا الإنتاج عليه أن يتحصّل على شهادة أو براءة اختراع أو رخصة يمكن أن تسحب منه نهائياً في حال تصرّف بما يتناقض مع بعض المبادئ، وهكذا يمكن أن تنشأ أخيراً بداية تنظيم في هذا المجال، وبالتالي سيّشكل كلّ من يعمل في التلفزيون جزءاً من منظّمة، وسيملك رخصة، هذه الرّخصة التي يمكن أن تضيع في حال خرق القوانين التي أسّستها هذه المنظّمة، ستشكل المؤسّسة التي من شأنها سحب الرخصة نوعاً من التّظيم، وهكذا فإنّه تحت أنظارها سيّشعر كلّ واحد وبشكل دائم بالمسؤولية وبأنّه يخاطر بفقدان رخصته في حال ارتكاب خطأ.

التحكّم الدائم هذا سيكون أكثر فاعليّة من الرّقابة خصوصاً أنّ مشروعيتهم يتضمّن عدم منح هذه الرّخصة إلا بعد تكوين متبوع بامتحان. إنّ الهدف من وراء هذا التّكوين هو أن يفهم أولئك الذين يخصّصون أنفسهم للتلفزيون بأنهم يسهمون في عملية تعليميّة على نطاق واسع، على كلّ الذين يعملون فيه، راغبين كانوا أو كارهين (volens, nolens)، أن يعوا بأنّ لديهم دوراً تربوياً لمجرّد أنّ التلفزيون يشاهد من قبل الأطفال والمراهقين.

عندما أتيحت لي فرصة الحديث عن كلّ هذا مع مهنيي التلفزيون اتّضح لي أنّ الأمر بالنّسبة إليهم جديد بشكل تامّ، وبأنّهم لم ينظروا إلى عملهم من هذه الزاوية مطلقاً، إلّا أنّهم تقبّلوا بلا مشقة أنّ الوضع هو كذلك. ما على رجال التلفزيون أن يعرفوه من الآن فصاعداً

هو أنَّ التربية ضرورية في كلِّ مجتمع متحضّر، وأنَّ أفراد مثل هذا المجتمع- أي أفراداً— متحضّرون، يملكون سلوكاً مدنياً- ليسوا نتاج مصادفة بل نتاج عملية تربوية، والحال أنَّ الحضارة تتمثل أساساً في الحدّ من العنف، إنَّها وظيفتها، وهو أيضاً الهدف الذي نرنو إليه عندما نحاول أن نرفع من مستوى الحسّ المدني في مجتمعنا.

على محتوى دروس التكوين-حسب رأيي- أن تنصبّ على الدور الأساسي للتربية وعلى صعوباتها وعلى فكرة أنَّها على تعلّم حقائق، إنَّما أن تبين على الخصوص كم هو مهمّ القضاء على العنف، ويجب أيضاً أن نشرح ضمنها كيف يتلقّى الأطفال الصّور، وكيف يمتصّون ما يقدّمه التلفزيون وكيف يحاولون التكيّف مع بيئة يميّزها. علينا أن نبين أنَّ الأطفال مثل عدد من الرّاشدين لا يميّزون دائماً بين الواقع والخيال، وقد حصل في إنجلترا أنَّ امرأة أرادت أن تعاقب ممثلاً لأنَّه أدى دور مجرم، بل هو أيضاً من أهداف الخيال الذي يقترحه التلفزيون بل وكلّ أنواع الخيال، أن تجعل المشاهد تبدو حيّة وحقيقية قدر الإمكان.

على المشتغلين بالتلفزيون أن يتعرّضوا إلى الميكانيزمات الذهنية التي تعمل على أن يميّز أو تخلط بين الواقع والخيال لأنَّها بالنسبة للأغلبية منهم لا تزال شيئاً مجهولاً، الكثيرون يجهلون كلّ ما تمارسه منتجاتهم على لاشعور الأطفال والرّاشدين على حدّ سواء، ومن البديهي أنَّ هذه الآثار ترتبط بمستوى ذكاء المشاهد ولكن أيضاً بعوامل أخرى: على هذا ينبغي أن تنصبّ الدروس، فنعالج باهتمام خاصّ الخطر القائم بالنسبة للشخصيات المعرّضة للخلط بين الواقع والخيال، والآثار التي يمكن أن تقضي إليها هذه الالتباسات. أولئك الذين يندفعون بالتلفزيون لا يملكون دائماً مستوى من النّضج والتّكوين كافي للتمييز بين الواقع والخيال، على عمّال التلفزيون أن يعوا هذا المشكل أثناء هذا التّكوين، وسيسمح الامتحان من جهة أخرى للمرشّحين ليس فقط بأن يستوعبوا الدروس وإنَّما أيضاً بأن يعوا مسؤوليتهم كمربّين وأن يتصرّفوا على هذا النّحو. أيّاً كان من يعمل لصالح التلفزيون عليه أن يعرف الأخطاء التي ينبغي تجنبها بحيث لا يترتّب عن نشاطه نتائج مضرّة على الصّعيد التربوي.

لا تتعلّق هذه الرّخصة بالمنتجين فقط الذي يملكون المسؤولية الأكبر في اختيار البرامج، ولكن أيضاً بالتّقنيين والمصوّرين وغيرهم، لأنّ كل من يتعاونون في الإنتاج التلفزيوني يملكون جزءاً من المسؤولية حول ما يبتّونه. هكذا يستطيع كل عامل- أن يقول للمدير: "لا أستطيع أن أعاون في هذه الحصة لأ

د

ي أريد احترام التزاماتي ولا أريد أن أخاطر بفقدان رخصتي"، وسيكون المنتج بمقتضى هذه الحال خاضعاً لرقابة الأفراد الذين يعملون تحت إشرافه.

الاقتراح الذي تقدّمت به لا يملك طابعاً إلحاحياً فقط، إنَّما يتوافق أيضاً مع ضرورة مطلقة من وجهة نظر الديمقراطية، وها هي الأسباب في بضع كلمات. تتمثل الديمقراطية في إخضاع السّلاطة السّياسية للرقابة وهذه ميزتها الرئيسية، لا ينبغي أن يوجد في الديمقراطية أي سلطة سياسية لا تخضع

للضبط، بينما أصبح التلفزيون اليوم سلطة ضخمة، ويمكننا القول بأنه يحتمل أن تكون الأهم من بين كل السلطات، كما لو أنها عوّضت صوت الله، وسيظلّ الوضع هكذا طالما استمرينا في تحمّل تجاوزاتها أو مساوئها.

لقد حصل التلفزيون على سلطة مفرطة في كنف الديمقراطية، ولا توجد ديمقراطية يمكنها أن تستمر إذا لم يوضع حد لكل هذه القوة، صحيح— أننا نسيء استعمال هذه القوة بخاصة— في يوغسلافيا ولكنها إساءات يمكن أن تحصل في أي مكان، وكذلك هناك إساءة في استخدام التلفزيون في روسيا. والتلفزيون لم يكن موجوداً في وقت هتلر مع أنّ الدعاية كانت منظمة بشكل منهجيّ وبقوة مشابهة تقريباً، وهتلر جديد سيكون له معها أيّ ظلّها قوة لا حدود لها.

لا يمكن أن تكون هناك ديمقراطية إذا لم نخضع التلفزيون للرّقابة، وبكلام أدقّ، لا يمكن للديمقراطية أن تدوم وبشكل مستمرّ ما لم يتمّ تحديث قوة التلفزيون بصفة—كلّية. في الواقع أنّ أعداء الديمقراطية أنفسهم لا يزالوا يملكون وعيلاً—ضعيفاً بهذه القوة، وعندما يفهمونها سيستعملونها بكلّ الأساليب حتّى في الحالات الأكثر خطورة، وحينها يكون الأوان قد فات. علينا أن نعي هذا الخطر الآن ونخضع التلفزيون للرّقابة من خلال الوسائل التي أشرت إليها، هذه الأخيرة يبدو لي أنّها الأفضل وربّما الوحيدة الممكنة، ولكن بوسع آخرين بالطبع أن يقدّموا اقتراحات أفضل منها، على الرّغم أنّه لم يتناهى إلى سمعي أيّ منها حتّى الآن.